

المحاضرة الرابعة
عنوانها

مفهوم التربية القومية

الفرقة الأولى / شعبة التاريخ / كلية التربية / عام

إعداد
د/ زين العابدين الجزار

مفهوم القومية

- عند الحديث عن القومية أو بالأحرى لفظ كلمة قومي أو قومية ' أو عند وصف شخص ما بأنه ذو توجه قومي ، أو القول بان بلد ما قامت بعمل ما من منطلق أو دافع قومي يكون وقع الكلمة على أسماعنا مقبول جدا ومفهوم بشكل جيد ولا يحتاج إلى أي توضيح
- ولكن لو طلب منا إعطاء تعريف محدد لهذا لمفهوم القومية نجد أنفسنا عاجزين عن اعطاء تعريف علمي قصير دقيق لهذا المصطلح .
- يرجع ذلك إلى أن قومية كل أمة من الأمم قد عبرت عن نفسها بشكل يخالف الآخرين كما أنها تغيرت وتعادت بمرور الزمن
- القوميات الأمريكية لا تشابه القوميات الأوروبية لفقدانها الأصول التاريخية العميقة ولاختلاف ظروفها المادية والسياسة والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية، بالإضافة إلى العوامل التاريخية المتباينة التي دخلت في تكوين كل أمة وفكرتها القومية

وقد حاول الباحثون في جميع أنحاء العالم إيجاد مفهوم محدد للقومية يساعد ولو بدرجات بسيطة بتقديم تعريف مقبول ولو منهجياً وذلك لأغراض الدراسات السياسية ولكنهم في النهاية اضطروا من أجل النهوض بدراساتهم السياسية أو تأثراً بفلسفتهم السياسية إلى وضع تعاريف خاصة بهم،

ولما كانت الأغلبية الساحقة من الباحثين في القومية هم أيضاً من دعاة قومية معينة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فإن كلا منهم تأثر بطبيعة الحال بالقضية التي يدعو إليها وجاءت مواطن التركيز في تعريفه بما يتفق والظروف الموضوعية المحيطة بهذه القضية ، وبذلك لم يتحقق الوضوح اللازم إلا نادراً حيث نشأت عقبات كثيرة عرقلت سير عملية البحث العلمي.

ومن التعريفات التي حاولت تحديد مفهوم القومية التعريف الذي اتفق عليه كل من رينان Renan و تريتشكه Treitschke وباري Barres و زنكويل Zanguill الذي ينظر إلى الأمة على اعتبار أنها كائن عضوي هيجلي ، أي عبارة عن روح أو مبدأ روحي ينبعث من تاريخ الإنسان وطبيعته

أما هكسلي Huxle وهدون Haddon فيعرفان الأمة بأنها (مجتمع ألف بينه اعتقاد مشترك بالنسبة لأصوله ، ومشاعر عدائية مشتركة بالنسبة لجيرانه

ويعرف الإيطالي مانشيني Mancini القومية بأنها (مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه ببعض بوحدة الأرض والأصل ، والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي) ، ويعتبر هذا التعريف من أهم وأشهر التعريفات التي قدمت للقومية باعتباره حدد السمات والعناصر الأساسية للقومية

أما بالنسبة للمفكرين العرب فقد حاول العديد منهم وخصوصا دعاة القومية العربية وضع مفهوم محدد للقومية يتناسب مع الحالة العربية ومعطياتها ،

ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور جورج حنا حيث يعرف القومية بأنها (عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة ، وجغرافية مشتركة ، وتاريخ مشترك ، ومصير مشترك ، ومصالحة اقتصادية مادية مشتركة ، وثقافة نفسية مشتركة ، وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة \

أما الدكتور منيف الرزاز فهو يعرف القومية بأنها (الرابطة التي تربط أبناء الأمة الواحدة في الوطن الواحد)

ويلاحظ من خلال التنوع في هذه التعريفات ، الإشكالية الكبيرة في وضع مفهوم محدد يمكن اعتماده كأساس للانطلاق في دراسة قومية ما ، حيث يظهر المنحى الذاتي أو الخصوصية القومية في كل ما ذكر من تعاريف ، ويظهر ذلك وبشكل أوضح إذا ما تناولنا ما يسمى بالمفهومين الألماني والفرنسي في تعريف القومية حيث يركز المفهوم الألماني على مسألة اللغة وأهميتها في بناء القومية ، بينما ترى القومية الفرنسية أن مشيئة العيش المشترك هي محور القومية ومعيارها، ويظهر من هذين المفهومين الهدف الذي يسعى إليه دعاة كل قومية من هاتين القوميتين ، حيث تسعى القومية الألمانية إلى ضم جميع المتكلمين باللغة الألمانية في أوروبا ، ومنهم سكان الألزاس إلى الدولة الألمانية ، بينما ترى في الجانب الآخر أن القومية الفرنسية وهي التي سبقت القومية الألمانية بقرن من الزمان قد أتمت وحدتها السياسية بالاستيلاء على بعض البلاد التي لا يتكلم أهلها الفرنسية ومنها طبعاً منطقة الألزاس.

وخلص الأمر ان القومية جمع قوم تتفق مصالحهم، وشؤون حياتهم مع بعضهم، كأنهم يقومون قومة واحدة، ضد ما يهدد واقعه وتظهر القومية بالشكل الذي يريده القوميون لها ، وقد لا تكون فكرة خالصة ثابتة ، وإنما تجمعات متباينة من العقائد والظروف ، لها أساليبها الخاصة في الاحتفاظ ببقائها وفي التحول لا إلى مجرد حقيقة ، بل إلى أمر واقعي كذلك ، والحقيقة أن الخيال والواقع والصواب والخطأ عناصر تختلط مع بعضها اختلاطاً شديداً في القومية الحديثة ، ولذلك فإن الأسلوب الوحيد لإدراك فحوى القومية هو تحديد العقائد ، بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها ، والظروف المتوفرة فيها ، وكما يقول هيرتز في تعريفه للقومية) : أن القومية فكرة ترى وجود شخصية جماعية للدولة تتباين من حيث أيجائها والشعور بذاتها وكتافتها وضخامتها بالنسبة للدولة ، فقد تمثل دولة متحدة منقرضة أو دولة متحدة قائمة ، وقد تتجه نحو إقامة دولة متحدة في المستقبل وهي تعتمد في هذا كله على الخصائص الطبيعية الأصلية التي تكون شخصيتها وتبرر ادعائها)

◉ اصطلاحاً: القومية هي ترجمة لكلمة nationalism المستعملة في اللغات الأوروبية. فقبل هي مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها

◉ الكلمة تعني الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين: عنصر موضوعي وهو الروابط المشتركة كالأصل واللغة والعقيدة.

◉ أما العنصر المعنوي وهو الانتماء. وقد ظهرت حركات القوميات في أوروبا خلال القرن 19 وبفضلها تمكنت كل من إيطاليا وألمانيا من تحقيق استقلالها ووحدتها